

مرايا الحكاية: وجها شمس ومولانا في حكاية «رُقعة الكنز» في المقالات والمثنوي^(*)

أ. د. عيسى علي العاكوب (**)

تقصّد الورقة إلى تلمّس خاصّياتٍ مُميّزةٍ لكلِّ من شمس تبريز (٥٨٢-٦٤٥هـ) ومولانا جلال الدين الرومي (٦٠٤-٦٧٢هـ) في مجال الفكر والفنّ، من خلال تناوُلهما الفكريّ والفنّي لحكاية واحدة عوّلا عليها في بيان فكرة صوفيّة عميقة، تتمثّل في أنّ كنز الحقيقة ليس خارج الإنسان بل داخله. وتُعرف هذه الحكاية في (مقالات) شمس، ومثنوي مولانا، بـ (رُقعة الكنز) (كُنج نامه اى - بالفارسيّة). ولتحقيق ذلك تقف الورقة عند النقاط الآتية:

إطار الموضوع، نواة القصد في هذه الورقة، حكاية رُقعة الكنز في (المقالات) و(المثنوي)، طبيعته تناوُل شمس ومولانا حكاية رُقعة الكنز عبّر النّقاط الآتية: تداعي المعاني عند كلّ منهما، عرض نواة الحكاية، المطّلب الصّوفيّ من الحكاية عند كلّ منهما، صورة الكاتب ممّا كتّب.

(*) أصل هذه المادّة ورقة ألقاها الكاتب في المؤتمر الدوليّ الرابع (شمس ومولانا)، الذي

عُقد في مدينة حُوي الإيرانية في آخر شهر آب ٢٠١٨م.

(**) عضو مَجْمَع اللّغة العربيّة في دمشق، أستاذ البلاغة والتّقد في جامعة حلب.

ورد إلى مجلة المجمع بتاريخ ٢٤ / ٤ / ٢٠١٩م

أولاً - إطار الموضوع:

كان التقاء عارفٍ كبيرٍ مثل شمس تبريز، وفقهه حنفيٍّ كبيرٍ مثل مولانا جلال الدين، حدثاً كبيراً في تاريخ الثقافة الإسلامية خاصةً، وفي تاريخ الثقافة الإنسانية عامةً. ويرجع ذلك أساساً إلى الآثار التي نشأت عن هذا اللقاء. وفي مُتناول المُتأمل المُدقق أن يقول هنا: إنَّ شمس تبريز وعاءٌ فكريٌّ جامعٌ لضربٍ من الثقافة عَجيبٌ. ففي شخصيَّة شمس برز الإسلامُ الآخذُ برُسومِ الشَّرعِ إلى الغاية، والآخذُ بأصولِ التَّصوِّفِ الإسلاميِّ إلى الغاية أيضاً. وبلغتِ التَّمثيلُ لحاله مع جلال الدين، نقولُ: إنَّ شمسَ شمسٍ هي التي أشرقتْ على قمرِ مولانا، فكان من ذلك هذا النُّورُ الذي يَطْلُعُ في كُلِّ ناحيةٍ من فضاءِ سُلوِكِ مولانا العمليِّ وفي آثاره الفكريَّةِ والفنيَّةِ. فهلْ كان (ضياءً) شمسٍ من قُوَّةِ الألقِ بحيثُ يعجزُ الأفرادُ العاديُّونَ عن تحمُّله، فجاء قمرُ مولانا ليتلقَى هذا (الضياء) القاهر، ويخفَّفَ من سطوعه، ويحوِّله إلى (نورٍ) تتحمَّله الأبصارُ العاديَّةُ؟. في مُتناولي أن أوكد ذلك، وأن أتقدِّمَ أكثرَ في التَّمثيلِ فأقول: كان مولانا الوسيطَ الذي أعدّه موله سُبْحانه ليَجْعَلَ نارَ شمسِ تبريز بَرْدًا وسلاماً على العقولِ الطَّالِبَةِ لِلَّهِ سُبْحانه (عقل خُدا جو، عقل كمال طَلَب - بالفارسيَّة). فإنَّ تعاليمَ مولانا في المثنويِّ هي عَيْنُ تعاليمِ شمسٍ في (المقالات)، مُلَطَّفَةٌ بِالْمَحَبَّةِ والعِشْقِ وبالتَّقنياتِ الشَّعريَّةِ اللطيفةِ البارعة.

وقد تراءى هذا الذي أتحدَّثُ عنه بجلاءٍ في (مقالات) شمس، فكنَّتْ تراه كثيرَ المُقارَنةِ بينه وبين مولانا جلال الدين. وتبدو لك حاله مع مولانا شبيهةً بالقولاذِ المُحميِّ بالأفرانِ العاليةِ حتَّى التَّوهُّجِ التام، الذي يُبرِّدُ بعدَ ذلك بالماء، على نحوِ شبيهٍ بما يُبصرُه المرءُ حينَ يزورُ معامِلَ الحديدِ والصُّلبِ في مدينةِ أصفهان. وأدُلُّ على هذا الذي أدعيه بشواهدٍ من كلام

شَمْسٍ فِي (المَقَالَاتِ)، وَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ مَثَلًا: «يَقُولُ أَحَدُهُمْ: إِنَّ مَوْلَانَا كُلَّهُ لُطْفٌ، وَإِنَّ لِمَوْلَانَا شَمْسٍ الدِّينِ صِفَةَ اللُّطْفِ أَيْضًا، وَصِفَةَ الْقَهْرِ أَيْضًا. فَقَالَ آخَرُ: إِنَّهُمَا كِلَيْهِمَا كَذَلِكَ. ثُمَّ أَخَذَ هَذَا يُؤَوِّلُ، وَيَعْتَذِرُ قَائِلًا: إِنَّ قَصْدِي كَانَ رَدَّ كَلَامِهِ، لَا الْإِنْتِقَاصَ مِنْكُمْ. أَيُّهَا الْأَبْلَهُ، حِينَ يَجْرِي كَلَامِي [عَلَى لِسَانِهِ] كَيْفَ تُؤَوِّلُهُ أَنْتَ؟. وَأَيُّ عَذْرِ يُمْكِنُ قَوْلُهُ؟. كَانَ يَصِفُنِي بِأَوْصَافِ اللَّهِ، الَّذِي مِنْ صِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ الْقَهْرُ وَاللُّطْفُ أَيْضًا. لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الَّذِي قَالَه كَلَامَهُ، وَلَا قُرْآنًا، وَلَا حَدِيثًا. كَلَامِي هُوَ الَّذِي كَانَ يَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ. كَيْفَ يَبْلُغُ بِكَ الْبَلَهُ أَنْ تَقُولَ: إِنَّهُمَا كِلَيْهِمَا كَذَلِكَ؟. الْقَهْرُ وَاللُّطْفُ اللَّذَانِ يُنْسَبَانِ إِلَيَّ، كَيْفَ يَكُونَانِ لَنَا نَحْنُ الْإِثْنَيْنِ؟... إِنَّ لِمَوْلَانَا جَمَالَاً أَخَاذًا، وَلِيَّ جَمَالَاً وَقُبْحًا. وَكَانَ مَوْلَانَا يَرَى جَمَالِي، وَلَا يَرَى قُبْحِي. وَهَذِهِ الْمَرَّةَ لَا أُجَامِلُ، وَأَتَوَاقَعُ؛ ابْتِغَاءً أَنْ يَرَى كَلِّيتِي: جَمَالِي وَقُبْحِي» (مَقَالَاتٍ، ص ٧٣-٧٤ - نَشْرَةُ مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ مُوحَّد).

وَكَانَ شَمْسٌ حَقًّا دَقِيقَ الْإِدْرَاكِ لِفَرْقِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَوْلَانَا، حِينَ قَالَ: «الدُّنْيَا حَرَامٌ عَلَى أَهْلِ الْآخِرَةِ، وَالْآخِرَةُ حَرَامٌ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ حَرَامٌ عَلَى أَهْلِ اللَّهِ، هَذَا هُوَ الْمَعْنَى، أَي: يَنْسَوْنَهُمَا. ذَلِكَ لِأَنَّ لِمَوْلَانَا سُكْرًا فِي الْمَحَبَّةِ، لَكِنْ لَيْسَ لَهُ صَحْوٌ فِي الْمَحَبَّةِ. أَمَا أَنَا فَلِيَّ سُكْرٌ فِي الْمَحَبَّةِ، وَصَحْوٌ فِي الْمَحَبَّةِ: لَيْسَ لِي ذَلِكَ النَّسْيَانُ فِي السُّكْرِ. فَكَيْفَ يَكُونُ لِلدُّنْيَا جُرْأَةٌ عَلَى أَنْ تَحْجُبَنِي، أَوْ تَحْتَجِبَ عَنِّي؟» (مَقَالَاتٍ، ص ٧٩).

نَعَمْ، فَوَلَاذُ شَمْسٍ الْأَحْمَرُ كَالنَّارِ، لَا يَتَحَمَّلُ بُرُودَةَ الْخَلْقِ وَلَا يَتَحَمَّلُهُ الْخَلْقُ أَيْضًا. لَمْ يَأْتِ شَمْسٌ إِلَّا لِيُخْتَبَرَ أَوْلَئِكَ الْأَشْخَاصَ الَّذِينَ يُرْشِدُونَ النَّاسَ إِلَى الْحَقِّ. فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي يَقُولُ: «فِي هَذَا الْعَالَمِ، لَا شَأْنَ لِيَّ بِهِؤَلَاءِ الْعَوَامِّ، لَمْ آتِ لِأَجْلِهِمْ. هؤُلَاءِ الْأَشْخَاصُ الَّذِينَ يُرْشِدُونَ النَّاسَ إِلَى الْحَقِّ، أَضَعُ الْإِصْبَعَ عَلَى عُرْوِقِهِمْ» (مَقَالَاتٍ، ص ٨٢).

كان شمسٌ يعي جيداً أنّ مولانا متميزٌ جداً، وأنّ نحاسه خيرٌ من ذهبِ الآخرين، وأنّ مَنْ يفهمون كلامه سيكونون تبعاً له، وأنّ باب المعارف الإلهية كان مغلقاً ثمّ انفتح بمفتاح مولانا، وأنّ تعرّف حقيقة مولانا محتاجٌ إلى وقت. يقول في هذا الشأن: «إنّ دانق^(*) مولانا يعدلُ مئة دينارٍ عند غيره، عند المحبين له. وكلُّ مَنْ يصلُ إليّ سيكون تبعاً له؛ لأنّ الباب كان مغلقاً، ثمّ انفتح له. والله، إنني عاجزٌ عن معرفة مولانا، وليس في هذا الكلام مُجاملَةٌ وتكلفٌ وتأوُّلٌ، إنني عاجزٌ عن معرفته. في كلِّ يومٍ ينكشفُ لي شيءٌ عن حاله وأفعاله لا أكون قد عرفته أمس. افهموا مولانا على نحوٍ أفضل، لكيلا تندموا ولات حين مندم. فذلك يومُ التغابن. يقول مولانا الصورة الجميلة والكلام الجميل، لا ترضوا منه بهذا؛ لأنّ وراء ذلك شيئاً، فاطلبوا منه ذلك الشيء» (مقالات، ص ١٠٤).

وعلى هذا النحو، برزت شمسُ المعارف الإلهية في سماءِ تبريز الضياء، وتلقى ضياءها قمرُ العناية الإلهية في آفاقِ (قونية) النور والمحبة واللطف. ومختصرُ القول هنا أنّ كلاً من شمسٍ ومولانا كان يعلم أنّ الفكر الذي يشاء له أن يصلَ إلى قلوب المحبين واحداً؛ إنه عينُ (الضياء) عند الشمس، الذي غدا (نوراً) عند القمر.

ثانياً - نواة القصد في هذه الورقة:

تقصّد الورقة التي بين أيدينا إلى بيان مسيرة تحوّل (ضياء) المقالات إلى (نور) المشنوي. ونسعى في تضاعيفها إلى تلمس بعض معالم الفكر والفن عند كلِّ من شمسٍ ومولانا، بوساطة الوقوف عند نواة حكاية واحدة، عرضها كلُّ

(*) هو بفتح التّون وكسرِها: سُدُسُ الدّرهم. والمراد هنا عملةٌ ضئيلة القيمة.

منهما بطريقة عبّرت عن غير قليل من نقاط الالتقاء والافتراق بينهما. وقد أثّرنا لهذا الغرض حكاية واحدة أفاد منها العارفان الكبيران هي حكاية «رُفعة الكنز (گنج نامه ای)». ووقع اختيارنا على (الحكاية) أساساً للتأمل والاستنباط والتفسير؛ لأن الإطار الحكائي أداة تعبير عالية تنطوي على عناصر تركيبيّة قادرة على اختزال المعارف والرؤى والمقاصد العالية. ففي الحكاية نمط من التعليم يتسابق فيه المضمون والصورة في التوصيل. وفيها من تقنيات الجذب والسحر والقرب من الأفتدة ما ينشط أدوات الإدراك، ويسهل ملء الفراغات، ويُعين على الاستظهار والاختزان في الذاكرة. ونخال أن ما وقع عليه اختيار شمس ومولانا من نماذج الحكايات ينتمي كثير منه إلى ما سماه البيان الإلهي (أحسن القصص). ومهما يكن، فإن القصص القرآني والقصص في المقالات والمشوّي يتميان إلى نمط حكائي يُبصر الإنسان، وهو في مغرب الدنيا، بحقيقة الطريق المستقيم الموصِل إلى برّية الأمان.

وتقدّم الحكاية المعتمدة أساساً للتأمل والاستنباط هنا نموذجاً لعله يكون ممثلاً لمئات نماذج الحكايات في المقالات والمشوّي، نموذجاً لعله العطر الذي يختصر الربيع. وقد حدانا إلى اعتماد النموذج الواحد ضيق مجال القول في كل المؤتمرات والتدوات، وضرورة التركيز والتكثيف في أوراقها. وقد أحسن من قال: خَيْرُ الكلامِ قَلِيلٌ - على كثيرٍ دليلٌ. وسنقدّم فيما يأتي، إن شاء الله، ترجمة عربيّة لمادّة الحكاية الفارسيّة في (مقالات) شمس، ومختصراً لمضمون الحكاية في أبيات مولانا في المشوّي، التي وسعت مادّة الحكاية، ووزعت جزئياتها على نطاق واسع، تتخلله انقطاعات كثيرة أملاها حرص مولانا على ملاحقة الفكر، وإحساسه حاجة الناس إلى كل ما يأتي به. وسنقدّم أيضاً مناقشة نقدية معمّقة لطبيعة تناول كل من شمس ومولانا مادّة الحكاية نفسها.

ثالثاً - حكاية رُقعة الكنز في «المقالات» وفي المثنوي:

- يقول شمس في المقالات:

«كُلُّ مَنْ زَادَ فِي الْمَجْهُودِ، ابْتَعَدَ عَنِ الْمَقْصُودِ. وَكُلَّمَا غَمَضَ فِكْرُ الْإِنْسَانِ انْبَهَمَ عَلَى الْفَهْمِ وَالْبَيَانِ. إِنَّ هَذَا الْعَمَلَ هُوَ عَمَلُ الْقَلْبِ، لَا عَمَلُ الْجَبْهَةِ وَالذِّمَاقِ. قِصَّةُ ذَلِكَ الشَّخْصِ الَّذِي وَجَدَ رُقْعَةً تَتَحَدَّثُ عَنْ كَنْزٍ، تَقُولُ لَهُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى بَوَابِهِ كَذَا، حَيْثُ ثَمَّةٌ قُبَّةٌ، عَلَيْهِ أَنْ يَجْعَلَ ظَهْرَهُ إِلَيْهَا، وَيَتَّجِهَ نَحْوَ الْقِبْلَةِ، وَيُطْلِقَ سَهْمًا، وَحَيْثَمَا وَقَعَ السَّهْمُ سَيَجِدُ ثَمَّةً كَنْزًا. فَذَهَبَ، وَرَمَى حَتَّى عَجَزَ، وَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا. فَوَصَلَ خَبْرُ ذَلِكَ إِلَى الْمَلِكِ. فَرَمَى رُمَاةَ السَّهَامِ الَّذِينَ يَزُمُونَ بَعِيدًا، لَكِنَّهُ لَمْ يَظْهَرْ لَهُمْ أَيُّ أَثَرٍ لِلْكَنْزِ. ثُمَّ حِينَ عَادَ هَذَا إِلَى حَضْرَةِ [الْحَقِّ] أَلْهَمَهُ: لَمْ نَقُلْ لَكَ أَغْرَقَ فِي شَدِّ الْقَوْسِ. فَجَاءَ، وَوَضَعَ السَّهْمَ فِي الْقَوْسِ [ثُمَّ رَمَاهُ] فَوْقَ أَمَامِهِ تَمَامًا. فَحِينَ وَصَلَتِ الْعِنَايَةُ [الْإِلَهِيَّةُ] خُطُوتَانِ وَقَدْ وَصَلَ.

والآن، أيُّه علاقة لهذا الظفر بالكنز، بالعمل؟ - أيُّه علاقة له بالرياضات والمجاهدات؟ - كلُّ مَنْ أْبْعَدَ فِي رَمِي سَهْمٍ [تفكيره] ظَلَّ مُحْرُومًا. كَانَ لَا بُدَّ مِنْ خُطْوَةٍ وَاحِدَةٍ لِكَيْ يَصِلَ إِلَى الْكَنْزِ. لَكِنْ أَيُّه خُطْوَةٌ هَذِهِ؟ - تِلْكَ خُطْوَةٌ مَنْ؟ - مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدَ عَرَفَ رَبَّهُ. مَنْ عَرَفَ نَفْسِي فَقَدَ عَرَفَ رَبِّي. تِلْكَ الَّتِي أَسْمَوْهَا «أَمَارَةٌ» هِيَ [عِنْدِي] مُطْمَئِنَّةٌ» (مقالات، ص ٧٥-٧٦).

- أما في المثنوي فقد بسط مولانا الحكاية على أبيات كثيرة في الكتاب السادس، امتدت من البيت ١٩١٥ إلى البيت ٢٣٨٢ (نشرة استعلامي). وقد تخلل ذلك انقطاعات تناول فيها فكراً آخر. ومُلخِّصُ الحكاية عند مولانا على النحو الآتي مترجماً عن (شرح جامع مثنوي معنوي) للأستاذ كريم زماني (٦/٥٠٧-٥٠٨):

قِصَّةُ الْفَقِيرِ الطَّالِبِ لِلرِّزْقِ بِغَيْرِ كَسْبٍ :

فقيرٌ مُفْلِسٌ بَلَغَ رُوحَهُ شَفْتَيْهِ مِنْ فَرْطِ الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ، سَأَلَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ مُسْتَعِينًا بِالصَّلَاةِ وَالِدُّعَاءِ رِزْقًا بِغَيْرِ سَعْيٍ وَكَسْبٍ، لِكَيْ يَنْجُوَ مِنْ عَضِّ الْفَقْرِ وَالْبُؤْسِ. اسْتَمَرَ عَلَى هَذَا الْعَمَلِ أَمْدًا طَوِيلًا، حَتَّى حَدَثَ لَيْلَةٌ فِي أَثْنَاءِ نَوْمِهِ أَنْ قَالَ لَهُ هَاتِفٌ: هُنَاكَ رُقْعَةٌ تَتَحَدَّثُ عَنْ كَنْزٍ، مَوْجُودَةٌ بَيْنَ قُصَاصَاتِ وَرَقِ فَلَانِ الْوَرَّاقِ، فَادْهَبْ إِلَى دُكَّانِهِ، وَاسْتَلْ رُقْعَةَ الْكَنْزِ تِلْكَ بِخَفَاءٍ، وَاقْرَأْهَا بَعِيدًا عَنِ الْأَنْظَارِ، وَاعْمَلْ وَفَقًا لِأَمْرِ لِكَيْ تَظْفَرَ بِكَنْزٍ عَظِيمٍ.

مَضَى الْفَقِيرُ إِلَى دُكَّانِ الْوَرَّاقِ، وَظَفَرَ بِرُقْعَةِ الْكَنْزِ، وَتَوَارَى عَنِ الْأَنْظَارِ وَقْرَأَهَا. وَقَدْ جَاءَ فِي رُقْعَةِ الْكَنْزِ: تَذَهَبُ إِلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ، فَتَجِدُ بِلَاطَ كَذَا، فَتُدِيرُ ظَهْرَكَ لَهُ وَتَتَوَجَّهُ إِلَى نَاحِيَةِ الْقِبْلَةِ. ثُمَّ تَضَعُ سَهْمًا فِي الْقَوْسِ، وَتَرْمِي، وَحَيْثُمَا وَقَعَ السَّهْمُ تَحْفِرْ، فَثَمَّةٌ تَجِدُ الْكَنْزَ.

انْطَلَقَ الْفَقِيرُ مُسْرِعًا، فَأَحْضَرَ أَقْوَاسًا قَوِيَّةً وَمُحْكَمَةً، وَوَضَعَ السَّهْمَ عَلَى الْوَتْرِ، وَأَطْلَقَهَا، وَحَفَرَ فِي مَحَلِّ سَقُوطِهَا، لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ أَثْرًا لِلْكَنْزِ. ثُمَّ بَعْدَ انْقِضَاءِ أَيَّامٍ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الْغَرِيبِ، أَثَارَ تَصَرُّفُهُ سُوءَ ظَنِّ النَّاسِ، خَاصَّةً أَهْلَ الْفُضُولِ. ثُمَّ شَيْئًا فَشَيْئًا ثَارَتِ الْوَشْوَشَةُ وَالْهَمْسُ. وَخَشِيَةَ النَّمِيمَةِ وَالسَّعَايَةِ، أَسْلَمَ الْفَقِيرُ رُقْعَةَ الْكَنْزِ إِلَى الْمَلِكِ خَوْفًا مِنْ تَعْذِيبِهِ. فَمَا كَانَ مِنَ الْمَلِكِ الَّذِي أَهَاجَتْهُ عَظْمَةُ الْكَنْزِ الْمَوْعُودِ إِلَّا أَنْ يَتَدَبَّرَ لِلْعَمَلِ قَوَاسِينَ مَهْرَةً وَمُجْرَبِينَ، لِيَعْمَلُوا وَفَقَ الْأَمْرِ، لَكِنْ لَمْ يُظْفَرَ بِالْكَنْزِ. وَفِي نِهَايَةِ الْأَمْرِ يَسَّرَ الْمَلِكُ نَفْسَهُ، فَأَعَادَ الرُّقْعَةَ إِلَى ذَلِكَ الْفَقِيرِ. ثُمَّ مَرَّةً أُخْرَى، اسْتَأْنَفَ الْفَقِيرُ الْعَمَلَ، لَعَلَّ الْكَنْزَ يَظْهَرُ لَهُ! أَمَا وَقَدْ يَسَّرَ مِنَ الْعُثُورِ عَلَى الْكَنْزِ، سَأَلَ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ بِقَلْبٍ مُنْكَسِرٍ ضَارِعٍ أَنْ يَكْشِفَ لَهُ سِرَّ رُقْعَةِ الْكَنْزِ. ثُمَّ، وَهُوَ فِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ، قَالَ لَهُ هَاتِفٌ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ: كَانَ الْأَمْرُ فَقَطْ أَنْ تَضَعَ السَّهْمَ فِي الْقَوْسِ، فَلَمَّاذَا أَغْرَقْتَ فِي شِدِّ وَتَرِ الْقَوْسِ؟! أَقَالَ لَكَ: شِدِّ

الْوَتْرَ بِكُلِّ قُوْتِكَ؟! الْآنَ أَنْهَضُ، وَرَكَّبِ السَّهْمَ عَلَى وَتْرِ الْقَوْسِ، لَكِنْ لَا تُشَدِّ الْوَتْرَ. دَعِ السَّهْمَ نَفْسَهُ يَقَعُ مِنَ الْقَوْسِ. فَعَمَلُ الْفَقِيرِ مَا طَلِبَ مِنْهُ تَمَامًا، فَوْقَ السَّهْمِ أَمَامَ قَدَمَيْهِ مُبَاشَرَةً، وَعَلَى الْفَوْرِ حَفَرَ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، فَوَجَدَ الْكَنْزَ».

رابعاً - طَبِيعَةُ تَنَاوُلِ شَمْسٍ وَمَوْلَانَا حِكَايَةَ رُقْعَةِ الْكَنْزِ:

يَشْتَرِكُ شَمْسٌ وَمَوْلَانَا فِي أَنْهُمَا صُوفِيَانِ فَارِسِيَانِ كَبِيرَانِ، وَفِي أَنَّ الْفَضَاءَ الْفِكْرِيَّ وَالثَّقَافِيَّ الَّذِي نَشَأَ فِيهِ كُلُّ مِنْهُمَا يُشَبِّهُ نَظِيرَهُ الَّذِي نَشَأَ فِيهِ الْآخَرُ. وَنَحْسَبُ أَيْضًا أَنَّ فَضَاءَ قُونِيَّةَ الَّذِي عَاشَ فِيهِ مَوْلَانَا، ثُمَّ انْضَمَّ إِلَيْهِ فِيهِ شَمْسٌ لِبَعْضِ الْوَقْتِ، كَانَ مُهَيِّئًا أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ مَكَانٍ آخَرَ لِنَمَاءِ الْغَرْسَةِ الْعِرْفَانِيَّةِ الَّتِي اجْتَمَعَ عَلَى رِعَايَتِهَا وَالِدُ مَوْلَانَا، بِهَاءِ الدِّينِ وَوَلَدِهِ، وَتَلْمِيذُهُ مُؤَدِّبُ مَوْلَانَا بُرْهَانَ الدِّينِ مُحَقِّقُ التَّرْمِذِيِّ، وَشَمْسٌ تَبْرِيْزِيٌّ، وَصَلَاحُ الدِّينِ زَرْكُوبُ، وَحُسَامُ الدِّينِ جَلْبِيٌّ. وَلِلتَّفْصِيلِ فِي هَذَا مَحَلٌّ آخَرُ.

لَكِنِّي أَقُولُ بِمَقَالَةِ الْعَرَبِ: وَتَحْتَ الرَّغْوَةِ اللَّبْنُ الْفَصِيحُ، وَأَعْنِي أَنَّهُ تَحْتَ ظَاهِرِ اشْتِرَاكِ شَمْسٍ وَمَوْلَانَا فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ اخْتِلَافٌ كَبِيرٌ، أَشْرْنَا قَبْلُ إِلَى شَيْءٍ مِنْهُ. وَيُهْمُنَا هُنَا تَحْدِيدُ بَعْضِ نِقَاطِ التَّشَابُهِ وَالتَّبَايُنِ بَيْنَ تَنَاوُلِ شَمْسٍ وَمَوْلَانَا لِحِكَايَةِ رُقْعَةِ الْكَنْزِ فِي الْمَقَالَاتِ وَالْمَشْوِيِّ، وَلَعَلَّ مِرَاةَ هَذِهِ الْحِكَايَةِ صَقِيلَةٌ بِالْقَدْرِ الَّذِي يَسْمَحُ بِعَرَضِ بَعْضِ مَلَاحِجِ وَجْهَيْهِمَا. وَسَنَعْتِمِدُ فِي مُنَاقَشَتِنَا هُنَا أَرْبَعَةَ عُنَاصِرٍ أَسَاسِيَّةٍ تَسْمَحُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، بِالتَّقَاطُ بِبَعْضِ الْعَلَامَاتِ الْفَارِقَةِ الْمُحَدَّدَةِ لِلشَّخْصِيَّةِ. وَسَنَقْفُ عَلَى الْوِلَايَةِ عِنْدَ النَّقَاطِ الْآتِيَةِ:

التداعي - السرد الحكائي - الرسالة الصوقية - صورة الكاتب مما كتب.

١- التداعي:

يَسْتَجِيبُ كُلُّ مَنْ شَمْسٍ وَمَوْلَانَا فِي عَرَضِ الْمَعَانِي الصُّوقِيَّةِ لِعَامِلِ تَدَاعِي الْمَعَانِي association. وَيَعْنِي ذَلِكَ أَنَّ تَتَابُعَ الْفِكْرِ فِي الْمَقَالَاتِ

والمثنوي لا يخضع لقصْدِ تَأْلِيفِيٍّ مُنْتِظِمٍ، تَفْرِضُهُ مَوْضُوعَاتُ البَابِ الوَاحِدِ
ذِي الفُصُولِ الكَثِيرَةِ، الَّتِي يُحَدِّدُهَا كَوْنُهَا أَجْزَاءً صَغِيرَةً لِمَوْضُوعِ البَابِ.

تَدَاعِي المَعَانِي ظَاهِرٌ تَمَاماً فِي الكِتَابَيْنِ. وَعِنْدَ شَمْسٍ، جَاءَ تَدَاعِي المَعَانِي
فِي حِكَايَةِ (رُقْعَةِ الكَنْزِ) هَكَذَا: الأَنْبِيَاءُ يُعْرَفُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ. وَيَسْأَلُ الصَّحَابَةُ
النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: إِذَا كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُعْرَفُ مِنْ قَبْلِهِ، وَكَنتَ أَنْتَ خَاتَمَ
النَّبِيِّينَ، فَمَنْ يُعْرَفُكَ؟ - قَالَ: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ. كَأَنَّهُ يَقُولُ: عَرَفْتُ
نَفْسِي، فَعَرَفْتُ رَبِّي. وَلَا حَاجَةَ بِي لِمَنْ يُعْرَفُنِي. وَكَأَنَّ هَذَا مِنَ الجَوَابِ
الحَكِيمِ. ثُمَّ يَنْقَلُ التَّدَاعِي شَمْساً إِلَى القَوْلِ: كُلُّ مَنْ زَادَ عَنِ المَطْلُوبِ ابْتَعَدَ عَنِ
المَقْصُودِ. كَأَنَّهُ يَقُولُ لَهُمْ: لَا تُبَالِغُوا فِي التَّفَكِيرِ فِي أَمْرٍ مَنْ يُعْرَفُنِي، فَإِنَّ الَّذِي
يُفِيدُ الإِنْسَانَ هُوَ انشِغَالُ قَلْبِهِ بِرَبِّهِ، لَا كَدُّ عَقْلِهِ فِي التَّحْلِيلِ وَالاِسْتِنْبَاطِ. بَعْدَ
ذَلِكَ يَنْقَلُ التَّدَاعِي شَمْساً إِلَى سَرْدِ حِكَايَةِ الكَنْزِ الَّتِي أُثْبِتْنَا تَرْجَمَتَهَا. وَالخُلَاصَةُ
الفِكْرِيَّةُ الَّتِي يَشَاءُ شَمْسٌ إِيْصَالَهَا عَبْرَ تَدَاعِي المَعَانِي فِي الحِكَايَةِ هِيَ أَنَّ طَرِيقَ
المَعْرِفَةِ الإِلَهِيَّةِ لَا صِلَةَ لَهُ بِكَثْرَةِ العَمَلِ، وَلَا بِالرِّيَاضَةِ وَالمُجَاهَدَةِ، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ
أَبْعَدَ المَرَمَى ظَانِّاً أَنَّ اجْتِهَادَهُ سَيَلْبِغُهُ المُرَادَ سَيَظَلُّ مَحْرُوماً. وَالأَصْلُ أَنَّهُ لَا بُدَّ
لِلإِنْسَانِ مِنْ خُطْوَةٍ لِيَلْبِغَ الكَنْزَ. ثُمَّ يَسْأَلُ شَمْسٌ عَنِ مَاهِيَّةِ هَذِهِ الخُطْوَةِ: تِلْكَ
الخُطْوَةُ خُطْوَةٌ مَنْ؟ - ثُمَّ يُعِيدُ مَا بَدَأَ بِهِ: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ. فَكَأَنَّهُ
يَقُولُ: المَهْمُ لِلإِنْسَانِ هُوَ أَنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ، فَإِذَا عَرَفَ نَفْسَهُ، عَرَفَ عُبُودِيَّتَهُ، فَقَدْ
عَرَفَ رَبَّهُ؛ أَي: أَنْ تَصِيرَ عِنْدَهُ تِلْكَ النَفْسُ الَّتِي سَمَّوْهَا (أَمَارَةً) (مُطْمَئِنَّةً).

وَيُلَاحِظُ هُنَا أَنَّ شَمْساً سَرِيعَ الِانْتِقَالِ مِنْ مَعْنَى إِلَى مَعْنَى بِسَبَبِ الإِطَارِ
الضِّيْقِ لِلحِكَايَةِ، الَّذِي لَمْ يَتَجَاوَزْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ سَطْرًا، وَأَنَّ الكَلَامَ جَاءَ نَثْرًا،
وَلَيْسَ شِعْرًا، وَأَنَّ شَمْساً يَسْتَشْهَدُ بِالشَّعْرِ بَعْدَ إِتْمَامِ الحِكَايَةِ.

وَقَدْ أَخَذَ مَوْلَانَا مَادَّةَ الحِكَايَةِ نَفْسَهَا، وَتَصَرَّفَ فِيهَا كَثِيرًا. وَجَاءَ تَدَاعِي

المعاني بالحكاية عند مولانا هكذا: في الديار المسكونة المعمورة تُوجد الكلاب الضارية العقر، وفي الخرائب الدائرة تُوجد كُنُوز العزِّ والتور. ثم من ذكر الكنز هذا انتقل مولانا إلى حكاية الفقير طالب الرزق بغير وساطة الكسب، الذي ألح في الدعاء فرأى في المنام هاتفاً يقول له: اطلب رُقعة مما يتمرّن به الوراقون، وقد عثر على الرُقعة ووجد مكتوباً فيها كيفية الظفر بالكنز.

ويظهر في تعامل مولانا مع الحكاية في المثنوي أنها من سماعه ومحفوظه، وأنه يجعل كل غنص من عناصيرها أساساً لعرض معنى أو فكرة تطول أحياناً مُعالجته إيّاها، حتى إن القارئ يخال أنه خرج عن نواة الحكاية تماماً، لكنه يعود ليستكمل مادة الحكاية، فلا يلبث عندها طويلاً، فتري التداعي قد صرّفه إلى خاطرٍ آخر.

وتداعي المعاني عند مولانا مصحوبٌ باستسلام تامّ لفيض الخاطر، ويتدفق معرفي هائل يجد صعوبةً في ضبط مجراه، وبحرص على تسجيل كل ما يعن له، وكأنه يقول بلسان الحال مقالة ذلك الشاعر الفارسي الذي استشهد العلامة محمد إقبال اللاهوري بقوله:

ليس في أعود غابي سَقَطٌ هي للمنبر، أو أعود صلب

وخلص القول في شأن تداعي المعاني في الحكاية الواحدة عند شمس ومولانا، أن كلا منهما يستمد من معين عقلٍ واسعٍ ومحفوظٍ غزير، لكن شمساً كان متحرراً من (الفيض التلقائي للمشاعر القويّة) في الشعر، كما يقول الشاعر الإنكليزي الرومانسي الكبير (وليم وردزورث) (ت ١٨٥٠م) في تعريف الشعر، وكان في الوقت نفسه مشدوداً متوتراً، وممسكاً بقوة بزمام القول، مثلما كان يمسك بقوة بزمام جواده الكثير السيار. كان شمس في تداعي معانيه أدنى إلى الروح الشرقي الميال إلى

الجَمَلِ القِصارِ المُخترِنةِ لِلمعاني الكِبارِ. وَنَحَسَبُ أَنَّ طَريقَةَ شَمْسٍ فِي عَرَضِ المعاني المُتداعِيَةِ شَبِيهَةٌ بِطَريقَةِ مولانا فِي (كتاب فِيهِ ما فِيهِ). وَلَعَلَّ هَذِهِ هِيَ طَريقَةُ المُحاضراتِ، أَوْ أَحاديثِ المَجالِسِ، فِي ذلكِ الرِّمانِ.

أما مولانا فِي المَثْنَوِيِّ، فَتداعِي المعاني عِنْدَهُ شَبِيهَةٌ بِتداعِي المعاني عِنْدَ فُصحاءِ العربِ، الَّذِينَ وَصَفَ الجاحِظُ طَريقَتَهُم فِي الكلامِ بِالارتِجالِ الشَّبِيهِ بِالإلهامِ، وَذلكَ حَيْثُ يَقولُ: «وَكُلُّ شَيْءٍ لِلعَرَبِ فَإِنَّمَا هُوَ بِدِيهَةٌ وَارتِجالٌ، وَكَانَهُ إِلهامٌ، وَليستَ هُنَاكَ مُعاناةٌ وَلا مُكابِدَةٌ..» (البیان والتبيين ٣/ ص ٢٨).

وَأَظْهَرَ ما يُحدِّدُ حَظَّ سَيْرِ المعاني فِي مَثْنَوِيِّ مولانا، جَيْشانَ صَدْرِهِ بِكلامِ النَفْسِ، وَإيفاءَ المعاني العارِضَةِ حَقَّها مِنَ الإبانَةِ والإيضاحِ. فَظاهِرٌ عِنْدَ مولانا شَيْءٌ يَمكُنُ تَسْمِيَتَهُ الابْتِهاجَ بِمَواليدِ المعاني، أَوْ بَناتِ العَقْلِ، وَالتَّخْلِيقَ التَّامَّ لَهَا.

٢- السرد الحكائي:

فِي عَرَضِ نِوَاةِ الحِكايةِ لا يَحْرِصُ شَمْسٌ إِلا عَلى تَخْلِيقِ البذرةِ مُحتَوَى وَصُورَةً، فَطَريقَتُهُ هِيَ طَريقَةُ السردِ المتعجِّلِ الَّذِي يَحْتَفِي فَقَطُ بِعناصِرِ الهَيْكَلِ الحِكايِيِّ لا يَتَعَداهُ. وَلَسْتُ مُتَحَقِّقاً مِنْ أَنَّ شَيْئاً مِنْ ذلكَ يَعودُ إِلى ضِيقِهِ بِمَنْ حَولَهُ، كَأنَّهُ كانَ يُحِسُّ أَنَّهُ هُوَ فِي العُدوةِ الدُّنيا، وَأَنَّ مَنْ يُحدِّثُهُم فِي العُدوةِ القُصوى، وَكَأنَّهُ فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ كانَ يَقولُ بِمقالَةِ الشاعِرِ الصّوفيِّ الحَكيمِ سَنائِي:

إِنَّ بَيْتِي لَيْسَ بَيْتاً، إِنَّهُ إِقْلِيمٌ إِنَّ هَزْلِي لَيْسَ هَزْلاً، إِنَّهُ تَعْلِيمٌ
أما طَريقَةُ عَرَضِ مولانا فَهِيَ طَريقَةُ الزَّراعِ الَّذِي يَضَعُ البذرةَ فِي التُّرابِ، ثُمَّ يَتَعَهَّدُ النَبْتَةَ حَتَّى الإزهارِ والإثمارِ. وَما أَدَلَّ ما قالَ شَمْسٌ نَفْسَهُ عَنِ طَريقَتِهِ هُوَ وَطَريقَةُ مولانا: «كُلُّ مَنْ يَصِلُ إِلَيَّ يَكُونُ تَبَعاً لِي؛ لِأَنَّ البابَ كانَ مُغْلَقاً ثُمَّ انْفَتَحَ لَهُ».

تَناوُلُ شَمْسٍ الحِكايةَ هُوَ تَناوُلُ الصّوفيِّ الجَوالِ المَتَكِّمِ، الَّذِي يَكْتَفِي فِي

حكايته باللمحة العابرة والإشارة الدالة، غير قاصد البتة إلى أن تغدو الثقافة الصوفية، أو المعارف الإلهية، شعبيّة من حظّ الجمهور. ألم يقلّ شمس عن نفسه: «في هذا العالم، لا شأن لي بهؤلاء العوامّ، لم آت لأجلهم». وأجرؤ على القول: إنّ مولانا جلال الدين وحده استطاع بفداذة أن يؤنس وحشة شمس وغزبته، وأن يجعل شمساً الجوّاب الآفاق، الحذر المتكتم، مواطناً قونويّاً لستة عشر شهراً، مواطناً ذا زوجة وبيت، ويتحدث في مجالس صغيرة خاصة.

أما تناول مولانا عين الحكاية، فهو تناول الفقيه الحنفي، المدرّس الناجح ذي التلاميذ الكثيرين، صاحب الفتيا، الذي صار بضياء شمس شمس عارفاً إلهياً، شارحاً لأساسيات المعرفة الإلهية بلسان العاشق المُمثّل إلى الغاية أدوات التمثيل والتخييل والجادبية. نعم، الأمر مثلما قال شمس نفسه: كان باب المعرفة الإلهية عندي مُغلَقاً على العوامّ، فانفتح لمولانا. ولو أنّ باب المعرفة الإلهية لم يفتح لمولانا لاكتفى في تقديم معارفه بكتاب واحد، ولما نظم ستة كتب استطاعت أن تجلي تصوّفه المحلّق، وفكره العرفانية الغزيرة، ووثباته الفكرية والتصويرية.

٣- الرسالة الصوفية:

كان كلُّ من شمس ومولانا يستعمل أحياناً الحكاية نفسها ليحمّلها مطلباً صوفياً يريد أن يعرفه من يخاطبهم. والمطلب الصوفي عند شمس في هذه الحكاية هو: طريق المعرفة الإلهية لا صلة له بكثرة العمل، ولا بالرياضة والمجاهدة، ولا بالإيغال في أعمال الفكر وكدّ الدّهن، بل من أبعد المرّمى ظلّ محروماً. وكان يكفي صاحب (رُفعة الكنز) أن يركب السهم ويتركه يقع بنفسه ليظفر بمحلّ الكنز. أما شدّ نزع القوس، وانطلاق السهم بعيداً، فشيء آخر. وكأنّ المراد في كلّ الطاعات الامتثال والاستجابة، أما النّظر إلى الطاعة نفسها والتزيّد فيها فشان آخر.

أما المطلَّب الصَّوْفِيُّ مِنَ الْحِكَايَةِ نَفْسِهَا عِنْدَ مَوْلَانَا، فَهُوَ كَمَا يَقُولُ شَارِحُ الْمَثَوِيِّ الرَّائِعُ الْأَسْتَاذُ كَرِيمَ زَمَانِي: «إِنَّ حَاقَّ رِسَالَةَ مَوْلَانَا فِي هَذِهِ الْحِكَايَةِ هُوَ أَنَّ كَنْزَ الْحَقِيقَةِ لَيْسَ خَارِجَ الْإِنْسَانِ، بَلْ دَاخِلُهُ». وَوَفَّقَ هَذَا التَّقْدِيرَ يُمْكِنُ عَدُّ هَذِهِ الْحِكَايَةِ تَفْسِيرًا لِلْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِمْ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]. كَذَلِكَ فِي هَذِهِ الْحِكَايَةِ كَانَ مَشْرَبُ الْفَلَاسِفَةِ وَأَصْحَابِ الْقَيْلِ وَالْقَالِ مَحَلَّ نَقْدٍ جَاءَ فِي قَالِبِ التَّمْثِيلِ، وَعَلَى نَحْوِ حَاذِقٍ؛ فَإِنَّ التَّرْتِيدَ فِي التَّفَكِيرِ وَالْإِفْرَاطَ فِي إِعْمَالِ الْعَقْلِ عِنْدَ هَؤُلَاءِ لَا يُوَصِّلَانِ إِلَى كَنْزِ الْحَقِيقَةِ، بَلْ يَذْهَبَانِ بِالْإِنْسَانِ إِلَى مَضِلَّةِ الْأَوْهَامِ وَالْإِضْطِرَابِ. وَرُمَاءُ السَّهَامِ الْمُبْعَدُونَ بِالرَّمْيِ هُمْ تَمَثِيلٌ لِهَؤُلَاءِ. وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ مَوْلَانَا أَعَادَ اسْتِتْجَاةَ مِنْ هَذِهِ الْحِكَايَةِ فِي الْآيَاتِ ٢٣٥٣-٢٣٥٨:

| | |
|---------------------------------|------------------------------|
| أنجه حق است، اقرب از حبل الوريد | تو فکنده تیر فکرت را بعید |
| ای کمان و تیرها بر ساخته | صید، نزدیک و تو دور انداخته |
| هر که دور اندازت، او دورتر | وز چنین گنج است او مهجورتر |
| فلسفی خود را از اندیشه بکشت | گو: بدو، کوراست سوی گنج پشت |
| گو: بدو چندانکه افزون می دود | از مراد دل جداتر می شود |
| (جاهدوا فینا) بگفت آن شهریار | (جاهدوا عنا) نگفت ای بی قرار |

وبالعربیة یقول:

- ذلك الذي هو الحق، أقرب إليك من حبل الوريد
 - وأنت رميت سهم فكري إلى القصي البعيد
 - فيما من ركبت القوس والسهم
 - الصيّد قريب، وأنت رميت إلى البعيد

- إِنَّ كُلَّ مَنْ أَبْعَدَ رَمِي سَهْمِ تَفْكِيرِهِ ظَلَّ أَبْعَدَ عَنِ الْهَدَفِ
وابتعد أكثر عن كنز حقيقة وجوده
- وقد قتل الفيلسوف نفسه من فرط التفكير
فقل له: اجر، فإنه قد أدار ظهره للكنز
- قل له: اجر، فإنه كلما جرى أكثر
صار أبعد عن مُراد القلب
- وقد قال ذلك المليك الإلهي: (جاهدوا فينا)
ولم يقل: (جاهدوا عنا)، أيها القلب المضطرب
- ٤- صورة الكاتب مما كتب:**

أرمني في هذه المندوحة إلى التقاط بعض خاصيات الشخصية الفكرية والفنية لكل من شمس ومولانا، من خلال الأثر الحكائي الواحد، الذي وظفه كل منهما في كتابه. وأسجل هنا بعض النقاط:

- كل من شمس ومولانا مُفكّر عملاق في فضاء العرفان الإسلامي، وقد أظهر كل منهما أبعاداً صوفية عميقة للإسلام، وفق عبارة الراحلة الكبيرة (أنيماري شيمل). وقد جاء كتاباهما يُنزلاً مُنزلاً علياً في مصادر التصوف الإسلامي الكبرى.

- استعمل كل منهما الحكاية والتمثيل analogy أداةً للتثقيف في مجال تعرف مذهب أهل التصوف. ومع أن شمساً كان ناثراً، ومولانا جلال الدين كان شاعراً كبيراً، جمعهما قصد واحد هو تجلية حقائق التصوف، وقصد الاثنان تقديم ثقافة تتجاوز قشر التدوين وظاهره، وتتخطى آفاق التفكير العقلي الذي يدعي امتلاك الحقائق والتفسير والتعليل، ولكنه يقف عند مواد الحواس الخمس التي كثيراً ما كانت أسباباً للوهم.

- جَمَعُهُمَا فِي التَّفْكِيرِ وَالنَّظَرِ بَيْنَ البَسَاطَةِ وَالتَّعْقِيدِ، وَالسَّطْحِيَّةِ وَالْعُمُقِ، وَالمَادَّةِ وَالرُّوحِ، وَإِدْرَاكُهُمَا الْعَمِيقُ لِرُوحِ الْقُرْآنِ وَرِسَالَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَثقافتُهُمَا العميقةُ فِي مجالِ العقائدِ وَتاريخِ الإسلامِ = كُلُّ ذَلِكَ يَجْعَلُ مَا قَدَّمَاهُ مُؤَثَّرًا لَدَى جَمَهْرَةٍ عَرِيضَةٍ مِنْ أَهْلِ الْأَعْصَرِ الْمُخْتَلَفَةِ.

- يَمْتَازُ رُوحُ شَمْسِ رُوحِ مولانا بِجاذبيَّةٍ وَخِلاَبَةٍ وَإِثَارَةٍ، وَكَأَنَّهُمَا يُحَدِّثَانِ الْإِنْسَانَ، أَيَّ إِنْسَانٍ، عَنْ رُوحِهِ هُوَ، وَهُمَا تَبَعًا لِذَلِكَ مُجَدِّدَانِ لِرُوحِ الْإِسْلَامِ الْمُشْرِقِ الْعَذْبِ الَّذِي لَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ.

- تُنَاسِبُ الْحِكَايَةُ الْقَصِيرَةُ رُوحَ شَمْسِ الْجَوَابِ الْجَوَالِ، الَّذِي لَمْ يَجْتَذِبْهُ مَكَانٌ، وَلَمْ يَسْتَوْقِفْهُ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ إِلَّا مولانا جَلالُ الدِّينِ، وَلَمْ يَنْشَغَلْ إِلَّا بِتَدْرِيسِ تَلَامِيذِ الْكُتَابِ الصَّغَارِ.

وَتُنَاسِبُ الْحِكَايَةُ الْمُؤَمَّتَدَةُ طُولًا، الْمُتَنَقِّلَةُ مَوْضوعًا، الْمُحَلَّقَةُ بِجَنَاحِي الشَّعْرِ، رُوحَ مولانا جلالِ الدِّينِ، الْمُرْشِدِ الرُّوحِيِّ، الْعَاشِقِ الشَّاعِرِ، الْأَسْتَاذِ لِعَاصِرِهِ وَلِلْأَعْصَرِ اللَّاحِقَةِ.

- عَبَّرَ شَمْسٌ فِي الْمَقَالَاتِ عَنْ مَحَبَّتِهِ لِمَوْلَانَا وَعَنْ إِعْجَابِهِ بِهِ، وَعَنْ وَحْدَةِ (الرَّسَالَةِ) بَيْنَهُ وَبَيْنَ مولانا حِينَ قَالَ: (إِنَّ دَانِقَ مولانا يَعْدِلُ مِئَةَ دِينَارٍ عِنْدَ غَيْرِهِ، عِنْدَ الْمُحِبِّينَ لَهُ. وَكُلُّ مَنْ يَصِلُ إِلَيَّ يَكُونُ تَبَعًا لَهُ؛ لِأَنَّ الْبَابَ كَانَ مُغْلَقًا ثُمَّ انْفَتَحَ لَهُ). أَلَا يُمْكِنُ هَذَا أَنْ يَعْنِي أَنَّ شَمْسًا أَرَادَ بِهَذَا أَنَّهُ هُوَ مَدِينَةُ الْعِلْمِ، وَأَنَّ مولانا جلالَ الدِّينِ هُوَ الْبَابُ لِهَذِهِ الْمَدِينَةِ، فَيَذْكَرُنَا بِالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: (أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ، وَعَلَيَّ بِأَبْهَاءِ؟)

أَمَّا بَعْدُ، فَهَذِهِ هِيَ مَرَايَا حِكَايَةِ (رُقْعَةِ الْكَنْزِ) فِي الْمَقَالَاتِ وَالْمَثْنَوِيِّ، حَاوَلْنَا أَنْ نَرَى فِيهَا وَجْهِي شَمْسٍ وَمَوْلَانَا، وَسَعَيْنَا مَا اسْتَطَعْنَا لِأَنَّ تَظْهَرَ فِيهَا قَسَمَاتُهُمَا وَمَلَامِحُهُمَا. وَمِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ التَّوْفِيقُ وَالْإِصَابَةُ وَالْخَيْرُ.